Journal of Applied Arts & Sciences
مجلة الفنون والعلوم التطبيقية
جامعة دمياط Damietta University
كلية الفنون التطبيقية

إشكالية الجمال في الثقافة المعاصرة؛ ما بين قولبة الجمال وجمالية القبح

The problem of beauty in contemporary culture, between the molding beauty and aesthetic ugliness

شيرين عبد الجواد أحمد إبراهيم

فنانة تشكيلية

الملخص:

اتفق الفنانين فيما مضى على قالب ثابت للجمال؛ ودافعوا عنه باستماتة بالغة الحدة،- فعلي سبيل المثال- دافع كوربية عن النزعة الطبيعية في الفن متخذها مثالًا للجمال دون سواه؛كما أعتمد غيره من الفنانين الفن الكلاسيكي قالبًا للجمال، ويذكر أن جميع الفلاسفة تحدّثوا عن الجمال، لكن هناك عدداً قليلاً جداً من النصوص التي تعالج القبح. هل صحيح أن تخوم القبح لا متناهية، وبالتالي فهو أكثر تعقيداً وتنوّعاً؟ هذه إشكالية جديدة في ثقافتنا العربية المعاصرة، وفي فنوننا التشكيلية التي ما زالت تتمسّك بمفهوم شبه رومانتيكيّ(للحلو) و(الجميل)، وفي أحسن الأحوال تفتقد إلى مفهوم صلب(للجميل) نفسه، ناهيك عن(القبيح) الذي تختلط فيه علوم الأخلاق بعلوم الجمال.

هل هناك تعريف ثابت للجمال؟ ومن المسؤول الأول عن قولبة الجمال في شكل ثابت دون سواه ؟ وما هي جمالية القبح ؟ وهل هناك جمال يكمن داخل القبح؟

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على الجمال الكامن داخل طيات القبح؛ كما يهتم بالبحث في القوالب الثابتة والنمطية للجمال، ومعرفة من المسؤل عن ذلك.

الأمر أكثر تعقيداً في قضية القبح والجمال، لأن القبح يمكن أن ينطوي على جانب من حيوية الحياة،وأن يكون نوعاً مختلفاً من الجمال، وأن يصير دافعاً لتجديد الأشكال. كما أن الجمال يقع في إطار حدود مرسومة،في حين أن تخوم القبح لا متناهية، وبالتالي فهو أكثر تعقيداً وتنوّعاً وتسلية.

مقدمة:

اتفق الفنانين فيما مضى على قالب ثابت للجمال؛ ودافعوا عنه باستماتة بالغة الحدة، -فعلي سبيل المثال -دافع كوربية عن النزعة الطبيعية في الفن متخذها مثالًا للجمال دون سواه؛كما أعتمد غيره من الفنانين الفن الكلاسيكي قالبًا للجمال، ويذكر أن جميع الفلاسفة تحدّثوا عن الجمال، لكن هناك عدداً قليلاً جداً من النصوص التي تعالج القبح .هل صحيح أن تخوم القبح لا متناهية، وبالتالي فهو أكثر تعقيداً وتنوّعاً؟ هذه إشكالية جديدة في ثقافتنا العربية المعاصرة، وفي فنوننا التشكيلية التي ما زالت تتمسّك بمفهوم شبه رومانتيكيّ)للحلو (و)الجميل(، وفي أحسن الأحوال تفتقد إلى مفهوم صلب)للجميل (نفسه، ناهيك عن)القبيح (الذي تختلط فيه علوم الأخلاق بعلوم الجمال[8].

المشكلة:

هل هناك تعريف ثابت للجمال؟ ومن المسؤول الأول عن قولبة الجمال في شكل ثابت دون سواه ؟ وما هي جمالية القبح ؟ وهل هناك جمال يكمن داخل القبح؟

الأهداف:

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على الجمال الكامن داخل طيات القبح؛ كما يهتم بالبحث في القوالب الثابتة والنمطية للجمال، ومعرفة من المسؤل عن ذلك.

الفن بمعناه العام هو كل فعل تلقائي يعززه النجاح ويحالفه التوفيق، بشرط أن يتجاوز البدن لكي يمتد إلي

(ISSN 2537-1061) (Print)

(ISSN 2537-107X) (Online)

العالم فيجعل منه منبهًا أكثر توافقًا مع النفس، فالفن في نظر" سنتيانا" هو عامل حيوي فعال يلعب دورًا هامًا في حياة " العقل Life of Reason " بوصفه الأداة التي تعدل من البيئة القائمة علي أحسن وجه، حتي تتمكن من تحقيق أغراضها وتنفيذ مقاصدها.وليس سنتيانا وحده هو الذي يعرف " الفن " بأنه متعة استطيقية أو لذة جمالية، بل إننا لنجد كثيرًا من الكتاب المحدثين يربطون بين مفهوم" الفن "ومفهوم" الجمال"، فيعرفون الفن بأنه القدرة علي توليد الجمال، أو المهارة في استحداث متعة جمالية.

كما أن مفهوم الجمال أوسع من مفهوم الفن، من حيث أن الجمال يتجلى في ظواهر أخرى غير الفن، ولكن مفهوم الفن - بدوره - أوسع من مفهوم الجمال، من حيث أن الفن يعبر عن ظواهر أخرى أخلاقية وميتافيزيقية وأيديولوجية واجتماعية وتاريخية...إلخ وبذلك نصل إلى فهم العلاقة بين الجمال والفن باعتبارهما علاقة تداخل بالضرورة؛ فهذه العلاقة الفعلية أو الحقيقية الوحيدة بين الجمال والفن؛ لأن شيئاً من الجمال يكون فناً، وشيئاً من الفن يكون جمالاً ..وهذا الشيء أو الجانب المشترك بين الجمال والفن - والذي يكون جمالاً وفناً في نفس الوقت - هو ما نسميه الإستطيقي أو الجمال الفني ..وهذا الجانب المشترك هو أيضاً الموضوع الأساسي لعلم الجمال المعاصر :2) ص(53

عندما نتطرق لموضوع الجمال، تقفز إلي مخيلتنا العديد والعديد من التساؤلات؛ والتي لا حصر لها، وهي تساؤلات يجب علينا الإصغاء إليها، ومحاولة إجابتها؛ فهي ليست أسئلة وجودية يستعصى علينا الإجابة عليها، بل هي تساؤلات تفتح للمتلقي نافذة للفهم والإدراك، ليتطلع منها إلي مفهوم مُقنع للجمال.

فهل علم الجمال مجرد مفهوم من المفاهيم؟؟

وما هي مهمته الحقيقية والفعالة للمجتمع ؟؟ هلي هي مجرد تحليل لعناصر العمل الفني، وذكر محاسنه ؟؟

أم الجمال مجرد استصاغة للعمل الفني ككل بدون تجزئة ؟؟

قولبة الجمال:

دمى باربي .. أميرات ديزني .. الإعلانات التلفزيونية ومشاهير السينما ومواقع التواصل الاجتماعي كل ذلك رسخ لثقافة تستلزم حصر الجمال في قواعد معينة تتغير حسب توجهات خطوط الموضة وأسلوب حياة المشاهير .فقد أصبح هوس الجمال حالة اجتماعية تستدعي التحليل والبحث عن حلول مستعجلة، حيث أن قيمة الإنسان وتقدير الآخرين له أضحى رهينًا بتوافق جماله الخارجي مع معايير رسخها الإعلام .فمن المؤسف رؤية مراهقات وهن سجينات لفكرة الخضوع لعمليات التجميل نتيجة الضغط النفسي من محيطهن و سخرية زملائهن، أو كضحايا اكتئاب بسبب صراعهن للوصول للوزن والشكل" المثاليين "تشبها بنجمة معينة(10)

وقد أتفق الفنانين فيما مضي علي قالب ثابت للجمال؛ ودافعوا عنه باستماتة بالغة الحدة، فقد دافع كوربية – علي سبيل المثال – عن النزعة الطبيعية في الفن متخذها مثالًا للجمال دون سواه قائلًا: أن الجمال كائن في الطبيعة، ونحن نلتقي به في عالم الواقع علي أشكال عديدة متنوعة .والجمال هو الواقع نفسه وليس من حق الفنان أن يدخل علي هذا التعبير أي توسيع أو تحويل أو مبالغة .أما إذا عمد الفنان إلي الاستهانة بهذا الجمال، أو التلاعب به فإنه عندئذ قد يخلع عنه صبغته الحقيقية، أو هو علي الأقل قد يضعف من قيمته .وإذن فإن الجمال علي نحو ما تقدمة لنا الطبيعة لهو أسمي بكثير من كل ما قد يستطيع الفنان أن يجمعه أو يؤلفه[1]ص.60

أما " نيتشة " فيقول ": ليس هناك ما هو أكثر نسبية وأكثر محدودية من إحساسنا بالجمال" .الجمال في ذاته " كلمة خاوية لا غير، وليست حتى مجرد فكرة .في الجمال يتخذ الإنسان نفسه معيارًا للكمال، وهو لا يفعل في الحالات الجمالية المنتقاة سوى عبادة نفسه ".ليس هناك من شيء جميل ؛ الإنسان وحده هو الجميل :علم الجَمال بكليته يرتكز على هذه المقولة ؛ إنها حقيقته الأولى . ولنضف إليها حقيقة ثانية :ليس هناك من شيء قبيح سوى الإنسان في طور الفساد،- بهذا نكون قد رسمنا حدود حقل الحكم الجمالي -ومن وجهة نظر العلوم الفيزيولوجية، كل قبيح يضعف ويفكر صفر الإنسان .إنه يذكره بالانهيار، وبالخطر، والعجز ؛ وبالفعل فهو يدفع ثمنًا لذلك خسارة في قواه[1]ص.40

ويتم إدراك القبيح كإشارة وعرض انحلال ؛ وكل ما يذكّر عن قرب أو عن بعد بالانحلال يستدعي في ذهننا حكم "قبيح ."وكل علامة انهاك، وثقل، وشيخوخة وإعياء، وكل ضرب من الإكراه المتجسد في هيأة تشنج عضلي أو شلل، وبصفة خاصة الرائحة واللون، ومظاهر الانحلال والتعفن، حتى في حالة اختزالها القصوى في هيئة رمز، -كل ذلك يستدعي نفس ردة الفعل :الحكم القيَمي" قبيح ." هناك حقد ينفجر ههنا :لكن، على من يحقد المرء؟ ليس هناك من مجال للشك هنا :إنه يحقد على انحطاط نوعه . يحقد هنا من عمق أعماق غريزة النوع ؛ وفي هذا الحقد رعدة، وحذر، وعمق رؤية، وبُعد نظر،- إنه الحقد الأكثر عمقًا على الإطلاق .وبسببه يكون الفن عميقًا[4]ص.70

الأمر أكثر تعقيداً في قضية القبح والجمال، لأن القبح يمكن أن ينطوي على جانب من حيوية الحياة، وأن يكون نوعاً مختلفاً من الجمال، وأن يصير دافعاً لتجديد الأشكال . ويظن أن الفيلسوف أدورنو من فلاسفة نادرين نجحوا في التفكير بالقبح وحده دون مقاربات ثنائية من النمط الموصوف .أما أمبرتو إيكو الذي جمع نصوصاً وصوراً عن القبح في الفن التشكيليّ، بعدما فعل الشيء نفسه بالنسبة للجمال، فهو يعتقد بأنه قد فهم الفرق الحقيقيّ بين المفهومين، مقترحاً أن النظرية الأولى للجمال هي قانون النحات اليوناني بوليكليتوس) عاش في القرنين الخامس والرابع ق.م (.الذي تتسم أعماله بالتوازن والدقة، وتتحدّد بالمقاسات والنسب الصارمة .إن رجلاً من الرجال يمكن أن يكون جميلاً إذا كان مقاس قدمه ثلاثين سم، وتكون لذراعيه قياسات متوازية محدّدة ..الخ .لذا يرى أيكو أن الجمال يقع في إطار حدود مرسومة، في حين أن تخوم القبح لا متناهية، وبالتالي فهو أكثر تعقيداً وتنوّعاً وتسلية . يرى أيكو أيضاً أن القبح في اللوحة التقليدية، غالباً ما يتم إخفاؤه في التفاصيل، ويتوجب الذهاب للبحث عنه فيها، ويذكر أن جميع الفلاسفة تحدّثوا عن الجمال، لكن هناك عدداً قليلاً جداً من النصوص التي تعالج القبح. هل صحيح أن تخوم القبح لا متناهية، وبالتالي فهو أكثر تعقيداً وتنوّعاً وتسلية؟ .هذه إشكالية جديدة في ثقافتنا العربية المعاصرة، وفي فنوننا التشكيلية التي ما زالت تتمسّك بمفهوم شبه رومانتيكيّ) للحلو (و)الجميل(، وفي أحسن الأحوال تفتقد إلى مفهوم صلب) للجميل (نفسه، ناهيك عن) القبيح (الذي تختلط فيه علوم الأخلاق بعلوم الجمال[8]

جمالية القبح:

القبح يتولد من النفور، نفور يولد بفعل، ولعل قوة التركيز على القبح هي ما تحدث عنها فان جوخ حين قال" إن للأشياء القبيحة خصوصية قد لا نجدها في الأشياء الجميلة "قول جوخ ينطوي ضمنيا على أن الفنان لا يميل إلى إظهار القبيح لأنه قبيح، وإنما الفنان يذهب إلى القبح لأنه حالة وجودية تتصل بالكثير من المظاهر الإنسانية والأحوال والواقع المعيشي، إنها أمر وجودي يفرض ذاته في عالمنا وليست بالأمر الشاذ، وبالتالي فإن المثقف يعود ويلتقط أشياء قبيحة خلفها الإنسان معتمدا على اليومي . إذن الجمالية هنا لا تنبع من هذا القبح وإنما من قدرة الفنان على تشكيله، ولعل الفنانين كانوا أكثر وعيا في هذه الناحية من غيرهم ، حيث أخضعوا قبح واقعهم لتجاربهم الفنية، وشكلوا تفاصيل حياتهم الممتلئة بالفواجع والبقع الحمراء والسوداء لدهشة الفن، وليتساوى الجمال والقبح مشكلين عالما من الجمال الفني الخاص[7]

زكريا الزيني:

يُخبرنا " أرنست فيشر "في كتابه" ضرورة الفن "إذا كانت الإنطباعات الحسية أحيانًا مدعاة للألم، فمن الصعب علي الفنان أن يُحيلها إلي موضوعات، فإدراك الشيء بالحواس مختلف ونسبي في كل الظروف،وحينما لا تكون الحواس قد أصابها الإعياء، يكون دائمًا مصدرًا للذة أكثر منه للألم، ولهذا فالفنان الدارس الواعي بالطبيعة يري من مواطن الجمال المختلفة والمتنوعة ما لا يحس به إنسان أو فنان آخر، ومن الطبيعي أن كل بيئة جديدة ستفتح أمام الفنان كثيرًا من الأشكال الجميلة، إن نحن سمحنا لها بتنمية إدراكنا[3]ص.50

من هنا تأتي أعمال المصور" زكريا الزيني "حينما تطرح ذلك السؤال :هل جميع الأشياء والعناصر الموجودة في الطبيعة والتي نعيشها جميلة؟

وهو كفنان ومصور يعشق اللون والفرشاة ويجيد فن التعامل والجمع بينهم، وفي الحقيقة هو أول فنان في مصر نبه بفنه إلي ما في الأشياء المهملة من جماليات شكلية وتشكيلية خفية، فنجد لوحاته الجميلة المسماة "بالنفايات "حيث استفزه التدهور والعطب الذي أصاب العديد من أحياء القاهرة في نهاية السبعينيات، فراح يرسم النفايات وصناديق القمامة،بل وتجسيدها في أحد أعماله حيث وضع مرآة في مستوي رأس الشخص الواقف لكي يدرك – كل المشاهد عندما ينظر في المرآة – أنه غارق حتى عنقه في هذه الحالة .وهو لم يقم بتصوير وتسجيل واستخدام القمامة في قاعات العرض ب)أتيلية القاهرة (للنفور منها،لكنه استجلي منها عناصر الجمال، حيث يجعلنا نتعاطف مع تلك الأشياء المهملة والتي تحمل في تكوينها البنائي وشكلها الخارجي ما يناقض داخلها، وتلك فلسفة خاصة لم يتطرق إليها – حينذاك -فنان من قبل13 فقد شكلت أعمال الفنان زكريا الزيني بتنوعها خطاباً جمالياً وأخلاقياً ينسج وجوده من الواقع الاجتماعى؛ وربما كان زكريا الزينى هو أول من نبه بفنه للأشياء المهملة ب لوحاته" النفايات "ولم يرسمها لكى ينفرنا منها وهو كرسام يجيد الرسم ومصوريجيد فن التلوين والتجسيم؛ وقد أثارت تلك الأعمال جدلًا كبيرًا، بينما الفنان أراد أن يبحث عن الجمال في القبح، ليعرض واقعا ملموسا في اتجاه فلسفي مثير وآخر تشكيلي وتستمر في أوائل الثمانينات ليخرج منها ويرسم ما هو علي النقيض تماما.. الزهور التي كانت بمثابة التنفيس عن تلك المرحلة

(ISSN 2537-1061) (Print)

(ISSN 2537-107X) (Online)

تناولها بأسلوب تجريدي كانت الألوان هي البطل في علاقات تشكيلية.6

يقول الفنان زكريا عن هذا التوجه واختيار هذا الموضوع أن الفكرة جاءت من الواقع الذي تشكله القمامة وما وصلت إليه من محاصرة للبشر في كل مكان، واصفا في حديثه ما يراه في المساء من عبث القطط عند دحرجت القمامة في سلالم العمارات مرورا بقذفها من المناور، وصولا إلى ما تزخر به الشوارع وبكميات كبيرة .هذا الواقع العام لم يكن هو الأصل في التعبير فقد كان الفنان زكريا يسعى لأن يبين أن في القمامة شكلا جميلا التي شملها بما يمتلكه من قدرة على تبيان مكامن الانسجام والاتساق والتناغم ولا ننسى الإنسانية التي نشعر بها عندما ننوي إعدام ما كنا نسعد به عند أكله إن كان غذاء أو ما يتعلق بالملبس أو ما كان يضفي على المكان جمالا من إكسسوارات وقطع أثاث وخلافها، وكأني به يتساءل هل نرى هذا الأمر جزءا من الجمال وكيف بنا نحرص على ما يتعلق بمظاهرنا رجالا ونساء دون أن نعي ما يحدث بسبب قذف القمامة بهذا الشكل من الفوضى.

لقد منحنا الفنان زكريا فرصة لتجاوز النظرة العادية للقمامة إلى ما هو أسمى نحو التفكر والمقارنة وكيفية النظر إلى جوانب الجمال في زوايا القبح، فليس لنتفق على أن ليس هناك شيء قبيح ولكن الأمر يعود إلى كيفية نظرتنا للحياة[9]

شكل (1) الفنان زكريا الزيني – من مجموعة النفايات

شكل (2) الفنان زكريا الزيني – من مجموعة النفايات

سبهان آدم:

لا تستغرب من قبح ماترى أو تشعر بالنفور, فماتراه ليس إلا جزء منك ,ومني ,ومن انكسار الإنسانية. إنه الفنان التشكيلي" سبهانآدم "من يحار الشعور في وصف مايرسم ,الذي توقع أن تكون أعماله مساندة للأشخاص الذين عانوا من مشاكل نفسية أو العصابيين أو الذين عاشوا اوقاتاً قاسية، وأن تكون أعماله مغذية لهم على المستوى النفسي والروحي.

قامت أعمال آدم على التساؤلات الوجودية التي أعطيت لكائناته المستسلمة لعبثيتها.فهي تبدو بين الآدمية والبهيمية كائنات ممسوخة محيرة مذعورة وملغزة كأنها على أعتاب الليل أو في نار الجحيم .وجوه دميمة وأجساد من دون أطراف آدمية، تعيش أقصى حالات العزلة والفزع غارقة في السواد .وهي لفرط ذعرها ربما، تستعير مخالب لتنبت في الرأس، مثلما تتناسخ الأعين في الوجه الواحد، تنظر بغفلة، كما لو أنّها في قفص غير مرئي أو أنّها في مختبر للتشريح أو للتعذيب تعاني من دمار روحي وجسدي .إذ يضعها على خلفية سوداء من خلائط الرمل والزفت، ليزيد وحشتها وعدميتها في لطخات لونية ارتجالية ونزقة تضاعف حدة التوتر لهذه المخلوقات الهجينة المنتزعة من العدم.

يتحدث في لوحاته عن إنسان بالمطلق، بعيداً عن العقائد والإيديولوجيات، الأفكار، الأزمان، القوميات، وبعيداً عن كل هذا، يتحدث عن قصة الإنسان الذي يعيش على الهامش، قصة الإنسان المتألم، ويبني عالمه التشكيلي من خلال تشربه لمجموع الخليط الثقافي والإنساني العالمي، فهو بمثابة إسفنجه ماصة لمجموع هذا، ولوحته تعكس هذا المجموع.

في سلسلة لوحاته المعنونة» الرجال الطيور«، تحلّق شخوصه الحيوانية في فضاء كتيم ومعتم، لكنّه لمزيد من الوحشية يربطها بخيوط تتدلّى من سقف اللوحة ويتركها معلّقة بين الأرض والسماء كما لو أنها مصابة بلعنة أبدية . وفي» قلادات«، يستلهم من الدائرة أسئلة الكون في طواف ميثيولوجي حول معنى الحياة في دورتها الأزلية من دون أن يتخلى عن فطريته في تفسير مكوّنات خطوطه وألوانه المتقشّفة التي تتوارى وتخفت أمام فزع نظرة الكائن في عمق اللوحة.وتعبر أعماله عن وحشية الإنسان بكل ما يعتريه من حزن غامض وخرافة مجهولة المصدر، فأعماله تخاطب ذائقة معولمة تجد في مسوخة صورة مثلى للقمع الذي يعانيه الإنسان المعاصر.(16)

تجربة آدم التي برزت كصدمة بصرية مفارقة من حيث اشتغاله على جماليات القبح في ثنائيات من الطفولة والفطرة تعكس وحشية إنسان العولمة الجديد في أسلوبية استثنائية في الشغل على الوجه البشري مصدراً رسومات تبدو أنها ولدت بعاهة خلقية؛ فأعمال هذا الرسام لطالما أرادها بقسماتها المنغولية وعتهها وإرباكها العضلي والجسدي في مغامرة وضعت هذا الفنان كأبرز المشتغلين على شخوص ذات عالم داخلي ثري للغاية.(14)

شكل (٣)سبهان آدم – من مجموعة الرجال الطيور

شكل (٤) سبهان آدم -من مجموعة قلادات –خامات متنوعة

فنسنت فان جوخ:

"للأشياء القبيحة خصوصية فنية قد لا نجدها في الاشياء الجميلة وعين الفنان لا تخطئ ذلك ".

فينسنت فان جوخ

عندما نقول أن" الإستطقي "يمكن التعبير عنه من خلال موضوعات نعتبرها" غير جميلة"، فنحن نعني بذلك أن

(ISSN 2537-1061) (Print)

(ISSN 2537-107X) (Online)

"الجمال الفني "يمكن التعبير عنه من خلال موضوعات تبدو لنا" غير جميلة "في عالم الحياة اليومية؛ فالإستطيقي ليس هو الجميل الذي اعتدنا تصوره باعتباره مضاداً للقبيح، بل إن القبيح نفسه يمكن أن يكون موضوعاً جميلاً بالمعنى الإستطيقي للجميل، وذلك عندما يعطى لنا من خلال عمل فني .ولذلك يمكن للمرء دائماً أن يتحدث عن" إستطيقا القبح"، أي جماليات القبح أو القبح الجميل .ولعل أبسط مثال يمكن أن نسوقه في هذا الصدد هو لوحة فان جوخ التي تحمل عنوان"حذاء برباط"، والتي اشتهرت باسم" حذاء الفلاحة ."إننا لا نجد في اللوحة سوى زوج من الأحذية رُسم بلون بني قاتم، وليس هناك أي شيء آخر في خلفية اللوحة يشير إلى الفلاحة أو عالم الفِلاحة - لا شيء سوى حذاء فظ غليظ ثقيل صعب الاحتمال، نلمس في جلده خشونة، ونرى تمزقاً في أجزائه الداخلية .وباختصار يمكن القول بأن هيئة الحذاء" قبيحة"، فليست هيئته مما يسر الناظرين، وليس منا من يتمناه لنفسه في دنيا الحياة الواقعية .ومع ذلك فإننا يمكن أن نرى هذا الحذاء برؤية أخرى، وذلك حينما نتأمله لا بإعتبارة حذاءً يمكن أن نرتدية وإنما باعتباره عملاً فنياً مليئاً بالدلالات الخصبة .فهناك الكثير مما يمكن أن نراه في اللوحة كما يبين لنا" هيدجر "في تحليله العميق لها : فالأجزاء الداخلية الممزقة في الحذاء تعكس الخطوات المنهكة المكدودة للفلاحة، وفي غلظة الحذاء وخشونته نلمس قسوة العمل ومشقته؛ فالحذاء ثقيل صعب الاحتمال مثلما يكون العمل في الحقل .فمثل هذا الحذاء قد صُمم ليُستخدم في الحقل وحده .وعلى جلد الحذاء تقع رطوبة وخصوبة التربة .وفي الحذاء يتردد النداء الصامت للأرض، وعطاؤها الصامت للغاية .فهذا الحذاء ينتمي إلى الأرض، وفيه تنكشف العلاقة بينه وبين مرتديه بالنسبة للأرض .إنه يكشف عن عالم الفلاحة، ولذلك يرى هيدجر أن لوحة فان جوخ تكشف عن ماهية أو حقيقة هذا الحذاء باعتباره" حذاء فلاحة ."وهذه الدلالات المعبر عنها في اللوحة هي ما نسميه الإستطيقي أو الجمال الفني[2]:ص .59 وقد أثار هذا العمل سجال فلسفي .فالحذاء قد يكون أحيانا مجرّد حذاء، لكنه في بعض الحالات يمكن أن يتضمّن الكثير من المعاني والرموز؛ وحتّى يومنا،وما يزال الفلاسفة ومؤرّخو الفنّ ينظرون إلى هذه اللوحة، ويثيرون من خلالها أسئلة تتمحور حول وظيفة الفنّ وطبيعة الأشياء . ما اجتذب فان جوخ للموضوع، هو الطبيعة الشخصية للحذاء، والشكل الخاصّ الذي اكتسبه بسبب لباسه أو استخدامه، في إشارة إلى آثار البلى والتجاعيد الظاهرة على الزوج.فهو واحد من هؤلاء الفنانين الذين التقطوا قبح واقعهم من خلال المشاهدات اليومية، وشكلوه ليصدم المتلقي بلغه الفن، أما بالنسبة لفان جوخ، الذي كان يمشي حافي القدمين معظم حياته، كان للحذاء معنى خاصّ؛ فهو يرمز لفكرة الحياة باعتبارها رحلة روحية .وطبقا لـ"شابيرو"، فإن فان جوخ عندما رسم الحذاء، كان يرسم بورتريهًا رمزيا لنفسه، كما أن التوقيع الظاهر أعلى يسار اللوحة، والمكتوب بأحرف حمراء، يرجّح احتمال أنه عنوان اللوحة الأصلي1[1]

في كتابه" أصل العمل الفني "يستخدم مارتن هيدجر مثال لوحة فينسنت فان جوخ" زوج من الأحذية "في تحليل جوهر العمل الفني وكيف يتم تعريف الجمال .يسهب هايدغر في كتابه الذي تناول أيضا قصائد للشاعر الألماني هولدرلين في دراسة ماهية الجمال وما يجعل عملا ما يخرج من إطار الشيء كأداة إلى الإعلان عن ذاته كعمل فني وبالتالي الخلود كجوهر جمالي .فيما يلي فقرة من الكتاب كتبها هايدغر بعد مشاهدته للوحة فان غوخ في إحدى صالات العرض الفنية في أمستردام عام :5).1930 ص(7

"من خلال الفتحة المظلمة للحذاء البالي تبدأ خطى العامل المتعبة.

من الثقل الوعر لزوج الأحذية هناك تراكم في الجرأة؛

جرأة المشي الثقيل في حقل واسع كنسته ريح صريحة.

على جلد الحذاء تقبع رطوبة التراب ووفرته .تحت النعلين تنزلق وحدة الطريق بينما المساء يتقدم.

في الحذاء يهتز النداء الصامت للأرض وهديتها الهادئة في نضج حبة القمح

ورفضها غير المفهوم لذاتها وسط الخراب الساكن في الحقل الشتوي.

يتخلل هذه الأداة قلق غير متذمر من الثقة بالخبز،

ويتخللها مرح بلا كلمات من تجربة الثبات امام الإرادة

والارتعاد امام سرير طفولة قريب اللحظة وأمام وعيد الموت.

هذه الأداة تنتمي للأرض،

وهي محفوظة في عالم الفلاحة(صاحبة الحذاء).

من خلال هذا الانتماء المصون تنهض الأداة" للبقاء في ذاتها(٥:ص٧)

وقد قام فان جوخ برسم لوحة أخرى ولكنها هذه المرة احتوت على» ثلاثة أزواج من الأحذية «يبدو أن الأحذية تستهوى فان جوخ . جاك دريدا يعتقد أن أحذية فان جوخ

(ISSN 2537-1061) (Print)

(ISSN 2537-107X) (Online)

تحوي أشباحًا فنحن أمام هذا العمل الفني وفقًا لدريدا لا نتذكر سوى الأشباح التي تسكن الأحذية بعد رحيل الأقدام عنها، أما مدلول الأحذية بالنسبة لفان جوخ – الذي كان يمشي حافي القدمين طيلة حياته – فخلفه سر يبدو أنه يرمز لفكرة الحياة باعتبارها رحلة تنتهي بالتهالك ثم التلاشي والعدم، ويبقى شبح فان جوخ حاضرًا بقوة وسوف تبقى أحذيته قابعة في فضاء الرسم تحتضنها الجدران وتخلق مزيدًا من الفضاءات ومعارك الذات والهوية(17)

شكل (5) فان جوخ -زوج من الأحذية ألوان زيتية علي توال

شكل (6) فان جوخ – ثلاث أزواج من الأحذية – زيت علي توال

جماليات القبح في الدادية:

»الدادا، الدادية، الدادائية«، كلها مسميات لحركة فنية واحدة، ظهرت في العام1916 ، بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبسببها .الدادائية هي فن» اللا فن .«فن الثورة على كل شيء .لا توجد معانٍ، لا يوجد غرض من العمل الفني، أنت – المتلقي – المطالب بفهم المغزى من العمل، لا الفنان نفسه .كل ما كان يعتبر فنًا كانت الدادا تطمسه، تعدله، أو ببساطة :ترفضه .الدادا حركة فنية» راديكالية«، كانت تسعى إلى نقض الفن؛ بغية إنشاء فن بديل، فيه لا تقيَّم الأعمال حسب مستواها الجمالي، الدادا لا تعترف بـ»علم الجمال«، لكن على أساس الرسالة التي يحملها .فقد خلخلت الحرب أحلام المواطن الأوروبي، تصوراته عن العالم، ثقته في الإنسان كمخلّص لنفسه بمنأى عن الإله، لكن الضربة هنا جاءت من الإنسان نفسه لأخيه الإنسان .لذا أعلنت الحركة رفضها لكل شيء، الرفض للرفض» .لا منطق«، الرفض هو المنطق !كان اختيار مسمى الحركة لا يقل عبثية عن أهدافها؛ كما كانت أعمالها تتسم بالغرابة، سواء علي مستوي الموضوعات أو التنفيذ.الأسماء التي كانت تطلق علي الأعمال كانت هي الأخري لا تقل غرابة . انتشرت الحركة كلهيب عود ثقاب في هشيم، يرجع ذلك لأسباب كثيرة، منها :لا عقلانيتها، وهو ما يتماشى مع ما كان يحدث في أوروبا .وأنشطتها الجنونية، معارض فنية

(ISSN 2537-1061) (Print)

(ISSN 2537-107X) (Online)

تطفح بالقبح، يكفيك أن تفتتح معرضًا تضع فيه كرسيًا قديمًا أو لوحة بيضاء تم تثبيت قصاصات أوراق الجرائد عليها لتكون فنانًا دادائيًا» .هكذا تولدُ دادا؛ من واقع احتياج للاستقلالية، ومن عدم الثقة بالجميع.(15)

ألقى الدكتور راتب الغوثاني الخبير بعلم الجمال محاضرة بعنوان» جماليات القبح في الفن الدادائي«، ركز فيها على معنى الدادية وتناول أشكالها وبماذا تَميزت .وتحدث د.الغوثاني عن معنى الدادية قائلاً» :الدادية أو الدادائية مسميات لحركة جزئية خالدة وباقية بقاء الفن والأدب في حياة البشر، وهي حركة شَكّلها وقاد فاعليتها الشاعر الروماني» تريستان تزارا «في سويسرا، وقد قامت احتجاجاً على اندلاع الحرب العالمية الأولى .«وقد تميزت هذه الحركة عن غيرها من المدارس الفنية والأدبية التي سبقتها بمحاولة التخلص من قيود المنطق المعتادة، والعلاقات السببية في التفكير والتعبير، وكان من مهمتها الكبرى التخلص من كل ما يعوق الحرية ويكبح جموح التلقائية في التعبير والإبداع الفنيين .يؤمن الفنان الدادئي : »إنَّ الجمال يمكن أنَّ يولد من اتحاد أشياء غير متوقعة أكثر من غيرها، بشرط أن تكون اليد التي تجمعها يد فنان.(12)«

شكل (7) فسقية دوشامب1917

شكل (8) العندليب الصيني -إرنست1920

النتائج:

•الجمال نسبي وشخصي للغاية؛ ولا يوجد تعريف ثابت نعول علية .

•الفن الكلاسيكي قديمًا،والإعلام حديثًا رسخ لقولبة الجمال في شكل ثابت دون سواه.

•إلا أن ذلك لم يمنع من إدراكنا لجمالية القبح؛ إذ يمكن له أن ينطوي علي جانب من حيوية الحياة .وأن يكون نوعًا مختلفًا من الجمال، ففي كثير من الأحيان يكمن الجمال في القبح.

التوصيات :

•البحث عن الجمال الكامن في القبح.

•النهي عن قولبة الجمال في إطار ثابت لا يتغير.

•جمالية القبح وفعل الفنان الواضح في إيجادها.

المراجع العربية:

١- ذكريا إبراهيم – مشكلة الفن -مكتبة مصر2012 م
٢- سعيد توفيق -الخبرة الجمالية" دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية ـــ "المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – الطبعة الأولي1992- م -ص.53

المراجع المترجمة:

٣-إرنست فيشر – ضرورة الفن-ترجمة:أسعد حليم -دار هلا للنشر والتوزيع-٢٠٠٢.
٤- فريدريك نيتشه – غسق الأوثان – ترجمة:علي مصباح - منشورات الجمل -بيروت2010 م
٥- مارتن هيدجر – أصل العمل الفني – ترجمة:أبو العيد دودو – منشورات الجمل – كولونيا2003 م

المواقع:

6- http://www.ahram.org.eg
7-http://alarab.co.uk
8-http://almadapaper.net
9-http://arts-news.org
10-http://blogs.aljazeera.net
11-http://www.dotmsr.com/details
12-http://www.discover-syria.com/
13-www.elfahanh.blogspot.com
14-http://www.sana.sy
15-http://www.sasapost.com/
16-http://visions-youth.blogspot.com
17-http://russia-now.com/ar/

(ISSN 2537-1061) (Print)

(ISSN 2537-107X) (Online)

Abstract:

Artists have agreed in the past on a consistent beauty mold; and defended him particularly acute desperately, - for instance, defended Courbet natural tendency in Mtakzha art example of the beauty and no one else; also adopted other classical art artists template for beauty, and states that all philosophers talked about beauty , but there are very few texts that deal with ugliness. Is it true that the borders of ugliness infinite, and is therefore more complex and diverse? This is a new problem in our culture Arab contemporary, and in our art plastic that still adheres to the concept of quasi-romantic (for sweet) and (beautiful), and at best lacks the core of the concept (the beautiful) the same, not to mention the (ugly), which mixes the moral sciences science of beauty .

the problem:

Is there a consistent definition of beauty? It is primarily responsible for molding the beauty in the form of fixed and no one else? What are the aesthetic ugliness? Is there lies the beauty within ugliness?

Objectives:

The research aims to shed light on the underlying ugliness inside the folds of beauty; also interested in research in fixed templates and stereotypes of beauty, and knowledge of the Contact Person for this.

Results:

It is more complicated in the case of beauty and ugliness, because ugliness can be involved on the side of the vitality of life, and to be a different kind of beauty, and that becomes a motive for the renewal forms. The beauty lies within the boundaries drawn, while the borders of ugliness infinite, and is therefore more complex and diverse and entertaining.

(ISSN 2537-1061) (Print)

(ISSN 2537-107X) (Online)